أَلتَّعَبُّدُ بِالصّيامِ وَالمُعَاقَبَةُ بِهِ.. بالاسْتناد الى القُرْآنِ الكَرِيمِ

أ.م.د. أحلام محسن حسين

جامعة بغداد– مركز إحياء التراث العلمي العربي

فحوى البحث

استناداً الى قوله –تعالى–: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ تنطلق السيدة الباحثة الى بسط موضوعة الصيام في الأمم السابقة والاسلام، فتبحث فيه كفريضة اوجبها الله –سبحانه–على عباده في مختلف العصور والاديـان، ثم كعقوبة أوقعها بمن يمارسون عملاً محرماً في الاسلام من قبيل الحنث باليمين او الظهار أو الإخلال بقواعد الإحرام في الحج او القتل غير العمد وغير ذلك.

كل ذلك اقتصر على ما ورد منه في القرآن الكريم، محل تخصص المجلة، مستهلاً بمختصرٍ عرضَ لموضوعة الصوم عند الأمم الأخرى ثم الصيام في الاسلام.

المقدمة:

كان الصيام محط اهتمام المجتمعات القديمة منذ نشأتها الأولى وحتى وقتنا هذا إذ عده القدماء ولا سيما في بداية ظهور الأديان شرطا من شروط العبادة ووسيلة للتقرب من الإلهة. ولا سيما في بلاد الرافدين ومصر الفرعونية، وبقية الحضارات الأخرى كالهندية والفارسية والبوذية وغيرها حتى ظهرت الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية وصار الصوم يأخذ نظاماً آخر كجزء من العبادات الأساسية كونه فريضة حدد له شهر معلوم وهو رمضان. قال الله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾، وللرسول ﷺ أحاديث في الصيام منها عن أبي إمامة أنه سأل رسول الله ﷺ إي العمل أفضل قال: ((عليك بالصوم فأنه لا عدل له)).

والصوم كما عرفه ابن كثير: "هو الإمساك عن الطعام والشراب الواقع بنيه خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأغلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة".

ولم يقتصر الصيام على شهر رمضان فحسب بل هناك العديد من أنواع الصيام منها صوم التطوع وعقوبة الصيام موضوع بحثنا وغيرها وتختلف أوقاته اوأيام ادائه.

أهمية البحث، تكمن في كون الإسلام دين سلام ومحبة ولم يفرض العقوبات البدنية ذات المردود السلبي على الإنسان، خوفاً من إحداث عاهة في بعض الأحيان، أو فرض عقوبات مادية قاسية تؤدي بالمسلم إلى العازة والفقر أحيانا أخرى.

وقد يكون الصيام كعقوبة فيه الكثير من إصلاح للنفس، وطريق سليم يعمل على تهذيب وتقويم الخُلق.

و الهدف منه: جعل المسلم جزءً من المجتمع، وحثه على الإعتراف بخطئه، وإستعداده لتنفيذ ما يُمليه عليه دينه أولاً ومجتمعه ثانياً، دون أن يترك ذلك اثراً سيئاً في نفسه او على عائلته أو مجتمعه الذي يعيش فيه.

تحديد المفاهيم:

عرفه ابن كثير: الصيام هوا الإمساك

عن الطعام والشراب الوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة[١].

العقوبة: هناك أنواع مختلفة من العقوبة الإلهية التي تصدر من الله عز تعالى من خلال الشرائع السماوية وهو عقاب دنيوي وأخروي ويطبق من قبل الأنبياء والرسل على ارض الواقع الاجتماعي. وهناك العقاب القانوني أو الجزائي الذي توقعه الدولة كحق من حقوق سياستها على الأفراد وذلك من خلال ماتشرعه من أنظمة وقوانين ومراسيم لتنظيم نشاطات الأفراد وضبط سلوكهم[٢].

العقوبة في اللغة: حدد في(لسان العرب) معنى العقوبة ((العقاب والمعاقبة أن تجزي الرجل بما فعل سواء، وعاقبة بذنبه معاقبه وعقابا، أخذه به وتعقبت الرجال إذا أخذته بذنب كان منه))[٣].

أما التعريف الاصطلاحي للعقوبة، انه إجراء يؤدي إلى تقليل احتمال حدوث السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة[٤].

العقوبة شرعا: عرفها الماوردي بأنها: زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به[٥].

تعريف إجرائي: العقوبة هي كل جزاء يقع على الفرد أو الجماعة من مصدرين الأول الهي وهو منزل من الله تعالى والثاني عن طريق القانون الوضعي بسبب مخالفة ارتكبت من الطرف الأول ضد الطرف الأخر والهدف من العقوبة الحد من الجريمة وحماية مصالح المجتمع وتحقيق

(١) ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تفسير القران العظيم، بيروت -مكتبة النهضة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص١٨٣.

(٢) د. الدوري، عدنان، اصول علم الاجرام وعلم العقاب ومعاملة المذنبين، منشورات ذات السلاسل -الكويت، بلا. ت، ص١٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، م٥، ج٢، ص٥٣٢.

(٤) د. الخطيب، جمال، تعديل السلوك الانساني، مكتبة الفلاح -الادارة العربية، ط٣، ١٩٩٥، ص١٧٨.

(٥) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد حبيب (ت ٤٥٠هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت -لبنان- دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٤٢١.

العدالة الاجتماعيـــة. مع جعل العقوبة عامل زجر للمذنب ورادعا للآخرين.

لمحة تاريخية:

الصيام فريضة إسلامية وعبادة من العبادات المقررة في جميع الأديان القديمة والـصـوم إمـسـاك عـن شـهـوات الجسد وسائر المفطرات كالطعام والـشراب أو الاثنين معا. ويعد الصمت وعدم الحركة صياماً، ويكون الصوم كلياً أو جزئياً وقد يطول زمنه لمدة محددة. مورس الصيام منذ العصور القديمة من قبل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم في مختلف الديانات، كما مورس من قبل الآخرين سـواء كانوا جماعات منهم وأفـراد كتعبير عن الاعـتراض على انتهاك حقوق اجتماعية أو أخلاقية أو مبادئ سياسية[٦].

أما عن الصيام في المجتمعات البدائية القديمة فقد عـرف مـن قبل الأفـراد المختارين لمهام تتعلق بالجماعة على سبيل المثـال: أفـراد مختـارون لتلقّي المناسك المعروفـة لديهم كالصيادين أو الـزراع وغيرهم.

ومـع بداية ظهور الأديـان في العالم بـشـكـل تـدريجـي، فـرض رؤسـاؤهـم والكهان الصيام كشرط أساسي للعبادة، كونه الطريقة التي تقربهم من الآلهة.

ففي الحضارات القديمة كالفرعونية في مصر وبـلاد ما بين النهرين وغيرهما من مراكز الحضارات، كان يشترط على الـراغـبين في الالـتـحـاق بخدمة المعابد الصيام سبعة أيام كاملة، وبشكل مستمر لا يتناولون فيها غير جرعات قليلة من المـاء، وكـانـت مـدة الصيام تمتد بعض الأحيان إلى ٤٢ يوما.

والفرس كانوا يدربون أولادهم على الصوم منذ الصغر لكي ينشأوا اقوياء يتحملون المهام الصعبة. كما فرض اليونان الصوم في معتقداتهم[٧].

وكـان الصيام معروفا لدى ديانات أخرى مثل الصابئـة والمانوية والبراهمية

(٦) جريدة بيان الثقافة، الاحـد ٢٨ شعبان، ٢٠٠٢ -العـدد ١٤٧ -مؤسســة البيان للصحافة والطباعة والنشر.

(٧) الحاج قاسم، محمود، تاريخ الصوم عبر الصوم -مقال في جريدة الحدباء، العدد ١٨٩/ ١، ٢٠٠٠.

والبوذية. ذكر ابن النديم: عن شريعة الحرانيين المعروفين بالصابئة، ان من ضمن ديانتهم تقديس الكواكب، والصيام ثلاثين يوما تكريما للقمر[٨]، وصيامهم كان مطلقا عن الأكل والشرب، ويبدأ منذ طلوع الشمس إلى غروبها، كما لديهم صيام تسعة أيام تكريما للمشتري، وسبعة أيام تكريما للشمس الرب الأعظم يمتنعون فيه عن أكل اللحوم وما يخرج منها، وكذلك ترك الخمر خلال هذه المدة. وذكر ابن النديم إن المانوية لديهم أيضا أنواع عدة من الصيام المرتبط بمواقيت دورية لها علاقة بحركة الكواكب[٩].

وفي الشريعة الهندوسية التي تعد من اكبر الديانات الهندية يتم الصيام فيها من بدايات الفصول وعدد أيام الصوم فيها تسعة أيام من كل فصل من فصول السنة، ويبدأ الصوم من غروب الشمس حتى طلوعها في اليوم التالي، كما يصومون كل شهر قمري ولهم نظام غذائي، يتناولون فيه الأطعمة النباتية والفواكه ويمتنعون عن تناول اللحوم ويفطرون بعد ان يأتي الهلال الجديد.

أما السيخ: فكانوا لا يحبون الشعائر العمياء، كما يسمونها، فهم لا يصومون ويطلقون على الصيام والحج شعائر عمياء.

الديانات الصينية: وفيها عقائد عدة منها: الطاوية، وهي عقيدة منشقة عن مبادئ الديانة الصينية القديمة، والصيام في الطاوية طقس ديني، يتم ضمن احتفال (تشاو) الذي يتميز بعدم تناول السمك واللحم والحليب والبيض ويكون ذلك خلال مدة الصلاة والتأمل، ويمارس هذا الصيام في جميع الأوقات.

و في البوذية: فرض الصيام أربعة أيام من الشهر القمري، يسمونها أيام البوبوذانا. في هذه الأيام يُحرم القيام بأي عمل حتى إعداد الإفطار، لذا كان الصائمون يعدون الطعام لأنفسهم قبل شروق الشمس، إذ يبدأ الصيام من شروق الشمس إلى غروبها.

والصابئة: لهم صوم خاص بهم يمتد

(٨) ابن النديم، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق (ت٣٨٥هـ)، الفهرست، مصر -المطبعة الرحمانية، ١٣٤٨هـ، ص٣٨٩.

(٩) المصدر نفسة، ص٣٨٩.

مدة ثلاثين يوما، مُشكلاً عند المندائين ركنا أساسيا، كما ان لديهم صوما كبيراً وأخر صغيرا، وفيه يمتنعون عن نحر الحيوانات وتناول اللحوم والكحوليات.

ومن المهم أن نذكر الصيام في الديانات السماوية ومعرفة مدى تقاربها وتباعدها عن الدين الإسلامي.

وردت شريعة الصيام في الكتاب المقدس بأشكال مختلفة ففي اليهودية تعد فريضة الصيام من أقدم التشريعات لديهم بعد شعيرة تقديم القرابين في الهيكل التي اختفت، وجاء بدلها الصلاة اليهودية، وبهذا اتسع مفهوم الصيام كثيرا لدى اليهود، ويرجع ذلك السبب إلى اجتهاداتهم في إيجاد أشكال منه، اغلبها ارتبط بالحدث التاريخي، وما أخرجته طبيعتهم العدائية للأمم التي عايشوها، وعاصروها، التي غلب عليها طابع الحزن، بسبب تعرضهم للمحن[١٠].

ورد في تفسير المنار: ((وثبت إن موسى عليه السلام صام أربعين يوما))[١١] وهذه الأربعين عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة، لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء، وهذه الأربعين يوما لم يرد في النصوص تحديدها بين أيام السنة[١٢].

الصوم عند الديانة المسيحية:

لم يرد في الأناجيل المعروفة نص عن فريضة الصوم، بل ذكره ومدحه وعده عبادة كالنهي عن الرياء، ومن أشهر صيامهم وأقدمه الصوم الكبير الذي يصادف قبل عيد الفصح و الذي صامه موسى، وصامه عيسى من بعده عليهما السلام.. كما صامه الحواريون. ومن ثم وضع رؤساء الكنسية أنواعا أخرى من الصيام وفيها خلاف بين المذهب والطوائف.

وبذلك يتضح لنا إن الصوم في الأمم السابقة كان قاسيا جدا ومنهكا من ناحية،

(١٠) الكاملي، ناصر الدين، الصوم في القديم والحديث، د. ت. مطبعة الكونكورد، بلا. ت، ص٢١٠.

(١١) قاموس الكتاب المقدس (انا الف و الياء) لمجموعة من علماء اللاهوت)، بيروت-دار المشرق، ١٩٨٩، ص٣٧١.

(١٢) موسعة الكتاب المقدس لمجموعة من الباحثين، لبنان -دار منهل الحياة، ١٩٩٣م، ص٣٣٠.

ومن ناحية آخرى، هو ليس بذي أهمية بل قد لايستمر أكثر من ١٢ ساعة كما في المسيحية أو يصل إلى ٢٥ ساعة كما في اليهودية.

أما في الإسلام الذي سنتطرق له بشكل مفصل فهو الأكثر عدالة وتنظيماً في جميع جوانبه كونه منزل بأمر من الله عز وجل.

الصيام في الإسلام:

الصيام ركن من أركان الإسلام الخمسة، فرضه الله سبحانه وتعالى على المسلم البالغ العاقل المقيم وغير المريض، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٣].

والصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب وشهوات الجسد وسائر المفطرات، يبدأ من طلوع الفجر الى غروب الشمس، ومدة رمضان شهر واحد، هدفه التقرب الى الله تعالى، وطلب مراضاته، يقول الله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾[سورة البقرة: ١٨٥].

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه: ان النبي ﷺ قال: ((من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما كان ينبغي ان يتحفظ منه كفر ما قبله)).

اهمية الصوم:

على الرغم من ان الصوم عبادة لله كذلك له احكام واسرار، منها فوائد صحية، واخرى خلقية، ونفسية، واجتماعية.

من الناحية الطبية: للصيام فوائد كثيرة نذكر بعضا منها، فهو العلاج الاكثر فاعلية لعلاج او الوقاية من اغلب الامراض مثل تقليل الوزن الذي يكون سببه الافراط في الطعام احيانا، وهو علاج لزيادة ضغط الدم ومرض السكر، واضطراب الامعاء المزمن، والمصحوب بتخمير في المواد الزلالية والنشوية، ووقاية من التهاب الكلى الحاد المزمن، وبعض امراض القلب، والتهاب المفاصل وغيرها.

وقد فرض الله تعالى الصيام على المسلمين كما فرضه على من تقدمها من الأمم لأخرى، لأجل إعادة النفس البشرية وتهيئتها لعمل الخير، والابتعاد عن الشر، لذلك يترك الصائم شهواته على الرغم من قدرته عليها، امتثالا لأمر الله تعالى، ولأجل مرضاته، وهذا من شأنه يولد مخافة الله، ويوقظ الضمير الانساني فيه.

والصيام يعزز الصبر، وتحمل مشاق الجوع والعطش، مما يمكن الانسان من مواجهة الحياة وصعابها بقوة وشجاعة، وترك الكثير من العادات السيئة، التي تؤدي الى ضعف البدن، واضاعة المال وغيرها.

والأهمية في الصوم ليست مجرد الإمساك عن المفطرات، بل في حفظ اللسان من الزلات، والتصرف بكل حكمة، ولذلك قال الرسول ﷺ (الصيام جنة)[١٣]: اي وقاية من المنكرات والشرور. والصيام يعلم النفس البشرية الفضائل وحسن الاخلاق، ويزكي ويطهر النفس، مما يجعل الانسان مأمول الخير ومأمون الشر، واذا لم يصل الصوم بالإنسان إلى هذه الغايات النبيلة فأن صومه لاقيمة له عند الله تعالى، ومثل الحديث الشريف هذا خير تمثيل حين قال ﷺ: ((رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش))[١٤].

وهناك اهداف اخرى للصيام في المجتمع، منها تحقيق المساواة بين الناس سواء الفقير فيهم أو الغني فلاثنان يمارسان الطقوس ذاتها، من ترك للطعام والشراب والتمتع بالشهوات بمحض ارادتهما مما يزرع الشعور في نفسيهما بالمساواة في ممارسة هذه الفريضة، وبالوقت نفسة تظهر الرحمة والعطف في قلوب الاغنياء، فيدفعهم ذلك بمد يد العون لمن ضاقت بهم سبل العيش، وبالتالي تتألف القلوب وتذهب الاحقاد، ويتعاون الفقراء والاغنياء من اجل توفير الامن والطمأنينة للمجتمع ككل.

(١٣) سنن النسائي: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي، بيروت- لبنان -دار احياء التراث العلمي العربي، ج٤، كتاب الصيام، ص١٣٠-٢٢٥.

(١٤) [سورة المائدة: ٨٩].

وقد يوجه الصيام باتجاه معاقبة المسيء لأجل اصلاحه نفسه بنفسه، كون الصوم يبدأ بإصلاح الإنسان من داخله، وذلك يصبح كفارة لذنب قام به، قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾[١٥].

والصيـــام كعقوبة (كفارة) نفذ من قبل جميع الاديان والمجتمعات التي سبقت الاسلام حتى يومنا هذا، ولكن كلاً على وفق طريق تقاليدهم وتعاليمهم و دينهم.

هذه مـردودات الصيـــام وتأثيرها في النفس والخلق والمجتمع، تحمل في جوانبها مناحٍ بعيدة المدى، لكونها تصنع الفرد المهذب والمجتمع الفاضل، لاجل وصول الامة الى الرفعة والعلو.

عقوبة الصيام من خلال القرآن الكريم:

شهر رمضان هو الشهر التاسع بين شهور السنة العربية وفيه، انزل القرآن هدى للناس ورحمة.

ذُكر الصوم في عدد من الآيات القرآنية التي بينت اهميته، والجوانب الاجتماعية والصحية والجزائية وغيرها من خلاله. الا ان سورة البقرة اوضحت اهمية الصيام واهدافه واوقاته ومدته واسلوب الصيام والفطر وغيرها.

ففي سورة البقرة ذكرت ست آيات عن الصيام نذكرها:

١. ايـة ١٨٣: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

ورد عند ابن كثير تفسير هذا النص القرآني الذي خاطب فيه سبحانه وتعالى المؤمنين وأمرهم الصيام اي الامساك عن الطعام والشرب والجماع وبنية خالصة لله عز وجل، لما فيه من تنقية النفوس وتطهيرها وتجنيبهـــا الوقوع في المعاصي فأنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها[١٦].

(١٥) القرضاوي/ يوسف، فقه الصيام، ط٣، ص١١.

(١٦) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١)، وجلال الدين بن محمد بن احمد الحلي، تفسير الجلالين، بيروت: مكتبة المثنى، وبيروت _ دار احياء التراث

وذكر تعالى انه اوجب الصيام عليهم كما اوجبه على من كان قبلهم. يقول الطبرسي: انه فرض صومنا لغرض صوم من تقدمنا من الامم كالنصارى على قول الحسن والشعبي واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرها[١٧] فلهم فيه اسوة حسنة ولا يجتهد هؤلاء في اداء هذا الفرض بشكل اكمل كما فعله اولئك. وقد روي ان الصيام كان اولا كما كان علية الامم قبلنا يصومون في كل شهر ثلاث ايام، عن معاذ وابن مسعود والضحاك بن مزاحم وزاد لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح الى ان نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان[١٨].

ان الصوم فيه تزكية البدن وتضييق لمسالك الشيطان. ويرى الطبرسي ان قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ اي لكي تتقوا المعاصي ولتكونوا اتقياء بما لطف لكم من الصيام فانه اقوى الوسائل والوصول الى الكف عن المعاصي، كما روى عن النبي ﷺ انه قال ((خصاء امتي الصوم))[١٩]، لذلك فرض الصوم كعقوبة عند ارتكاب المسلم لذنب يقوم به وكما سنرد ذلك لاحقا. ثم بينة بعد ذلك مقدار الصوم وانه ليس في كل يوم لكلا يشق على النفوس فتضعف عن حملة وادائه بل حدد في ايام معلومات.

ويضيف سيد قطب ايضا منافع الصوم ووظائف تفيد البدن، ويرى الحكمة الاصلية فيها هي اعداد هذا الكائن البشري لدوره على الارض وتهيئته لكمال المقدر له في حياة الاخرة[٢٠]، فالصوم هو مجال تقرير

العربي، بيروت دار العلوم الحديثة، بلا. ت، ص٣٧، (تفسير صورة البقرة).

(١٧) ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل القريشي (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص٢١٣ (تفسير صورة البقرة).

(١٨) الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسين (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، تصحيح وتحقيق وتعليق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، بيروت -دار احياء التراث العربي، ١٢٧٩ -ق/ ١٢٢٩ ش، ج٥، ص٢٧١ [سورة البقرة: ١٨٣].

(١٩) المصدر نفسة، ص ٢٧١ -٢٧٢.

(٢٠) قطب، سيد، في ظلال القران، طه، بيروت- دار الشروق، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج١، ص١٦٧، تفسير سورة البقرة: ١٨٣.

الارادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما انه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها ايثارا لما عند الله من الرضى والمتاع.

وفي الآية ١٨٤ من سورة البقرة ذكر تعالى عدد ايام الصيام ومن لم يستطع الصيام فيه رخصة في تعويضه او فدية بدل الصوم: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

فسر السيوطي نص هذه الآية: (اياما) يعني نصب بالصيام او يصوموا مقدارا وهوا (معدودات) اي قلائل او مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان، وقلله تسهيلا على المكلفين وقوله ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم ﴾ حين شهوده الهلال[٢١]. (مريضا او على سفر) فسرة ابن كثير: ان المريض والمسافر لا يصومان لما فيه من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعدة ذلك في ايام اخرى، اما الانسان المعافى المقيم الذي يطبق الصيام فقد كان مخيرا بين الصيام وبين الاطعام ان شاء صام وان شاء افطر واطعم عن كل يوم مسكينا، وان اطعم اكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير وان صام فهو افضل من الطعام[٢٢].

وزاد السيوطي انهم كانوا مخيرين في صدر الاسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه[٢٣].

وفي اية ١٨٥: حدد عدد ايام صوم رمضان في قوله تعالى: ((شهر رمضان الذي انزل فيه القران))، يبين ان عدد ايام رمضان حددها تعالى بشهر واحد، وفسر السيوطي الذي انزل فيه القران من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر[٢٤].

اما عن تنظيم الحياة الزوجية خلال

(٢١) السيوطي، تفسير الجلالين، سورة البقرة/ اية ١٨٤، ص٣٧.

(٢٢) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج١، سورة البقرة/ اية ١٨٤، ص٢٠٤

(٢٣) السيوطي، تفسير الجلالين، سورة البقرة/ اية ١٨٤، ص٣٧.

(٢٤) السيوطي، تفسير الجلالين، سورة البقرة/ اية ١٨٥، ص٣٨.

مدة الصيام وعدم التجاوز عليها والا يتحول الامر الى عقوبة، فقال الله تعالى في الآية ١٨٧: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

يفسر السيوطي قوله تعالى (الرفث) ويعني الافضاء (الى نسائكم) بالجماع[٢٥]، احل الله الرفث الى نسائكم في اوقات محدودة اي بعد الافطار. اما اذا ما خرق الصائم صومه وخلال النهار فعليه عقوبة وسنذكرها بشكل مفصل خلال الآيات القادمة.

وهناك صيام يؤديه المسلم في حالات خاصة خارج شهر الصيام ذكرها الله تعالى في محكم كتابة العزيز اما ان تكون تعويضية او تزكية للنفس وعقوبة لقيام فعل مخالف للشريعة والقوانين الإسلامية فقال سبحانه وتعالى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦].

ونقل إبن كثير في تفسير ابن عباس قال في شرح ((فمن كان منكم مريضا او به اذى في رأسه ففدية من صيام او صدقه او نسك)) وقال رسول الله ﷺ ((النسك شاه وصيام ثلاث ايام والطعام فرق بين ستة))[٢٦].

اما السيوطي في تفسيره يقول: فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه (ما يخص الحج) كقمل وصداع فحلق في الاحرام (ففدية) عليه (من صيام) لثلاثة ايام (او صدقة) بثلاثة اصوع من غالب قوت البلد توزع على ستة مساكين (او نسك) اي ذبح شاة، او للتخيير والحق به من حلق لغير عذر لأنه اولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر او غيره ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٢٦) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج١، ص٢٣٢.

ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

(فمن لم يجد) الهدى لفقده او فقد ثمنه (فصيام) اي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في حال الاحرام به فيجب حينئذ ان يحرم قبل السابع من ذي الحجة والافضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة، ولا يجوز صومها ايام التشريق...[٢٧]، (واتقوا الله) فيما يأمركم به ونهاكم ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ اي لمن خالف أمره وارتكب ما عنه زجره[٢٨].

صورت سورة البقرة الصيام واوقاته ومدته وفرائضه ونواهيه في هذا المجال.

ولم تقتصر على ذكر الصيام بل هناك آيات اخرى في سور قرآنية اخرى توضح فرض الصوم كعقوبة. مثل سورة النساء: الذي فرض الصيام فيها كعقوبة لفعل قام به حتى ولو كان دون قصد قال الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٩٢].

لا يجوز للمسلمين القتال فيما بينهم، وإن اختلقت البلدان والأزمان، الافي حد وقصاص. فلا يوجد سبب مهما بلغت عظمته صنع الفرقة بين مسلم وآخر يماثله في العقيدة فحُرم قتل المسلم لأخيه المسلم، وقد ربطت بينهما رابطة قوية، الا ان يكون ذلك خطأ وعن دون قصد. و للقتل الخطأ وضعت تشريعات وأحكام، وأما القتل العمد فلا كفارة له. لأنه وراء الحساب ووراء حدود الاسلام[٢٩].

(٢٧) السيوطي، تفسير الجلالين، ص٤٠ -٤١.
(٢٨) ابن كثير، تفسير، ج١، ص٢٣٥.
(٢٩) سيد قطب، في ظلال القران، م٢، ج٣، ص٧٣٥. سورة البقرة/ اية ٩٢.

فسر الطبرسي هذه الآية الكريمة (فمن لم يجد) اي لم يقدر على عتق الرقبة بان لا يجد العبد ولا ثمنه (فصيام شهرين) اي علية صيام شهرين متتابعين توبه الى الله اي ليتوب الله به عليكم، فالتوبة تكون هنا من فضل الله وقيل ان المراد بالتخفيف هنا التخفيف من الله[٣٠]، وزاد ابن كثير وقال: (فصيام شهرين متتابعين): اي لا افطار بينهما بل يسرد صومها الى اخرهما فإن أفطر من غير عذر من مرض او حيض او نفاس استأنف[٣١]. اما السيوطي فسر هذه الآية الكريمة (فمن لم يجد) الرقبة بان فقدها وما يحصلها به (فصيام شهرين متتابعين) علية كفاره ولم يذكرالله تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه يأخذ الشافعي. (وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) فيما دبره لهم[٣٢]. ولما بين الله تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان حكم القتل العمد.

ويمكن القول ان القاتل يعاقب، سواء كان قتل عمد او غير عمد او ما بينهما و أستخدم الصيام هنا كنوع من انواع العقوبة الموجهة من الله تعالى، ولو لم تكن ذات تأثير كبير على مرتكب الخطأ للجأ الى عقوبة اخرى زيادة على الدية وعتق الرقبة، وعلى الارجح لا يمكن اطعام المساكين بدل الصيام لأشعار ذلك الفرد بسوء عمله وليتمكن مستقبلا من الحذر قبل وقوعه بالخطأ. وذلك ما يؤدي الى نشر التسامح والتعاطف في المجتمع، واشاعة الامن والاستقرار وعدم التهور في التعامل مع الاخرين.

وأمر الله عز وجل في سورة المائدة عقوبة الصيام لأجل تهذيب النفس البشرية في اتخاذ القرارات والكلام الصحيح لزرع الثقة بين الناس فقال وعز من قال عز وجل: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ

(٣٠) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القران، ج٥، ص٩١.
(٣١) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج١، ص٥٣٥.
(٣٢) السيوطي، تفسير الجلالين، ص١٢٢، تفسير سورة النساء/ اية ٩٢.

ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[سورة المائدة: ٨٩].

يوضح ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أن هناك ثلاث خصال في كفارة اليمين يؤديها ايها الحانث اجزأ عنه بالأجماع، وقد بدأ بالأسهل فالأسهل فالإطعام أسهل وأيسر من الكسوة، كما ان الكسوة ايسر من العتق فترمى فيها من الادنى الى الاعلى فان لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة ايام[٣٣]، تكفير به عن يمينه. واختلف العلماء هل يجب فيها التتابع او يستحب ويجزئ التفريق؟. هناك قولان احدهما لا يجب وهذا منصوص الشافعي في كتاب الايمان[٣٤]، ويؤكد ذلك السيوطي ايضاً بقوله: كفارته وظاهره آنه لا يشترط التتابع[٣٥]، والرأي الاخر للشافعي ايضا ونص عليه في موضوع اخر في الام على وجوب التتابع كما هو قول الحنفية والحنابلة لا نه قدر روى عن أبي بن كعب وغيرة انهم كانوا يقرؤونها. ((فصيام ثلاثة ايام متتابعات))[٣٦].

اما سيد قطب فيرى كون هذه الايام الثلاثة متتابعة او غير متتابعة فيه خلاف فقهي بسبب عدم النص هنا على تتابعها، والذي يعنينا هنا بالاتفاق بالأصل هو ان الكفارة رد لاعتبار العقد المنقوض، وحفظ للأيمان من الاستهانة بها، وقد امر الله سبحانه بالوفاء بالعقود. فاذا عقد الانسان يمينه وكان هناك ما هو أبر فعل الابر وكفر عن اليمين[٣٧] وذلك بالتكفير (وهي العقوبة).

وفي سورة المائدة ايضا يذكر الله تعالى الصوم كعقوبة به لم يتجاوز حدود الله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا

(٣٣) ابن كثير، تفسير ج٢، ص٩٠.
(٣٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٩١.
(٣٥) السيوطي، تفسير الجلالين، ص٦١.
(٣٦) ابن كثير، تفسير، ج٢، ص٩١.
(٣٧) سيد قطب، في ظلال القران، ج٧، ص٩٧١. (سورة المائدة/ اية ٨٩).

سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [سورة المائدة: ٩٥]، فسر ابن كثير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ اي تحريم منه سبحانه وتعالى لقتل الصيد في حال الاحرام ونهى عن تعاطيه فيه وهذا انما يتناول من حيث المعنى المأكول ولو ما تولد منه ومن غيره، واما غير المأكول من الحيوانات البر فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها والجمهور اكد على تحريم قتلها ايضا[٣٨].

ان القران الكريم دل من خلال هذه الآية الكريمة على وجوب الجزاء على المتعمد وعلى تأثيمه بقوله: ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ وجاءت السنة من احكام النبي ﷺ واحكام اصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ كما دل الكتاب عليه في العمد [٣٩]، ويرى الطبرسي، معنى ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ ﴾ اي عقوبة ما فعله في الاخرة ان لم يتب وقيل معناه ليذوق، وخاصة عاقبة امره وثقله بما يلزم من الجزاء[٤٠]. ويفسر ابن كثير في تفسيره من وجوب الجزاء من مثل ما قتله المحرم اذا كان له مثل من الحيوان الا ينسى خلافا لابي حنيفة اذ اوجب القيمة سواء كان الصيد المقتول مثليا او غير مثلي وهو مخير ان شاء تصدق بثمنه وان شاء محرمون بحج او عمرة.

(بالغ الكعبة): اي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه، ولا يجوز ان يذبح حيث كان، فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته (او) عليه (كفارة) غير الجزاء وان وجد هي (اطعام مساكين) من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء لكل مسكين مد[٤١]، اما ابن كثير عن ابي حنيفة واصحابه يطعم كل مسكين مدين وهو قول مجاهد، وقال احمد مد من حنطه او (مدان) من غيره[٤٢]. فأن لم يجد او كما

(٣٨) ابن كثير، تفسير، ج٢، ص٩٧.
(٣٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧.

(٤٠) الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢٤٥. سورة المائدة/ اية ٩٥.
(٤١) ابن كثير، تفسير، ج٢، ص٩٩. سورة المائدة/ اية ٩٥.
(٤٢) السيوطي، تفسير الجلالين، ص١٦٢، سورة المائدة/ اية ٩٥.

يقول ابن كثير بالتخيير صام عن اطعام كل مسكينين يوما، وقال ابن جرير وقال اخرون يصوم مكان كل صاع يوما كما في الجزاء المترف بالحلف ونحوه، وان مجموعة من الفقهاء امروا كعب بن عجرة ان يقسم فرقا بين ستة اشخاص او يصوم ثلاثة ايام والفرق ثلاثة اصع واختلفوا في مكان هذا الاطعام[٤٣]. وقولة تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ قال ابن كثير انما اريد بالطعام الصيام انه اذا وجد الطعام جزاؤه... الا ان ابن عباس يرى شرح هذه الآية: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ او بدل ذلك صياما فاذا قتل المحرم شيئا في الصيد حكم عليه منه فأن قتل ظبيا او نحوه فعليه شاة تذبح بمكة فان لم يجد فإطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلاثة ايام، اما اذا قتل ابلا او نحوه فعلية بقرة فان لم يجدها اطعم عشرين مسكينا فان لم يجد فصام عشرين يوما، وان قتل نعامة او حمار وحش او نحوه فعلية بدن من الابل فان لم يجد اطعام ثلاثين مسكينا فان لم يجد فصيام ثلاثين يوما.

وقوله ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ اي أوجبنا عليه الكفارة ليذوق عقوبة فعله الذي ارتكب منه المخالفة ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ اي في زمان الجاهلية لمن احسن في الاسلام واتبع شرع الله ولم يرتكب المعصية ثم قال: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ اي ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الاسلام وبلوغ الحكم الشرعي اليه[٤٤].

ويفسر البرسيم ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ اي عقوبة ما فعله في الاخرة ان لم يتب وقيل معناه ليذوق وخاصة عاقبة أمرة وثقله بما يلزم من الجزاء. اما قوله تعالى ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ يفسر من عاد الى قتل الصيد محرما فالله سبحانه يكافئه عقوبة بما صنع واختلف في لزوم الجزاء بالمعاودة فقيل انه لا جزاء عليه[٤٥].

ويضيف سيد قطب على نص السياق القرآني على حكمة هذه الكفارة ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ ففي الكفارة معنى العقوبة، لان الذنب هنا محل محرم يشدد فيها

(٤٣) ابن كثير، تفسير، ج٢، ص١٠٠.

(٤٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٠.

(٤٥) ابن كثير، تفسير، ج٢، ص١٠٠.

الاسلام تشديد كبير، لذلك يعقب عليه با لعفوا عما سلف والتهديد بانتقام الله ممن لا يكف[٤٦].

ومن مجموعة تفاسير هذه الآية الكريمة يظهر ان الصيام يمثل عقوبة للمتعمد بالقتل اثناء الاحرام، لأجل تنظيم العبادات كجزء من الواقع الاجتماعي للدين الاسلامي. فهي تفصيل كفارة المخالفة مبدوءة بالنهي مختوما بالتهديد مرة اخرى.

سورة المجادلة: اية ٣ - ٤: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٤٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[سورة المجادلة: ٤].

تبين الآية الثالثة من سورة المجادلة الحالة التي تمر بها المرأة في الجاهلية اذ كان الرجل اذا غضب من امرأته لا مر ما يقول: (انت علي كظهر امي، فتحرم عليه ولا تطلق منه، وتبقى هكذا) معلقة لا هي حل له فتقوم بينهما العلاقة الزوجية، ولا هي مطلقة منه فتجد لها طريقا اخر، وكان هذا طرفا من العنت الذي كانت فيه المرأة في الجاهلية[٤٨].

فلما جاء الاسلام وقعت حادثة أشارت اليها هذه الآيات، ولم يكن قد شرع حكم للظهار بعد. عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي اوس بن الصامت انزل الله على صدر سورة المجادلة، فسرها ابن كثير في تفسيره اذ قالت: كنت عنده (تعني زوجها) وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه قالت فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال انت علي كظهر امي. قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي يريدني عن نفسه، قالت: قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص الي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله

(٤٦) الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢٤٥.
(٤٧) سيد قطب، في ظلال القران، ج٧، ص٩٨١.
(٤٨) راجع تفسير [سورة المجادلة: ٤].

فينا بحكمه قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فاليقين عني... ثم خرجت حتى جئت الى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه... قالت فجعل رسول الله يقول ((يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فأتقي الله فيه)) قالت فو الله ما برحت حتى نزل القران، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يغشاه ثم سرى عنه فقال لي يا خويلة قد انزل الله فيك وفي صاحبك قرانا.

قالت قال لي رسول الله صلى الله علية وسلم ((مريه فليعتق رقبة)) قالت فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ قالت فقلت والله انه لشيخ كبير ماله من صيام قال ((فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر)) قالت فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت فقال رسول الله ﷺ: ((فأنا سنعينه بفرق من تمر)) قالت فعلت يا رسول الله وانا سأعينها بفرقاً اخر قال ((قد اصبت واحسنت فأذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بأبن عمك خيرا)) قالت ففعلت[٤٩].

اما السيوطي في تفسيره للآية الرابعة من سورة المجادلة يقول:

(فمن لم يجد) رقبة (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ) اي الصيام كما في تفسير ابن كثير لكبر سنه (فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) عليه اي من قبل ان يتماسا حملا للمطلق على المفيد لكل مسكين حر من غالب قوت البلد (لذلك) للتخفيف في الكفارة (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ) اي الاحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ) بها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعني مؤلم[٥٠].

فعقوبة الصوم هي احد العقوبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى للذي يتفوه بكلام يمنع زوجته عنه، ثم يعود بعد فترة كي يرجعها، ففرض الله تعالى عقوبات مشددة عليه، اولها عتق رقبة، وثانيها صيام شهرين متتالين دون توقف ليذق وبال ما قام به من عمل ويمسك

(٤٩) سيد قطب، في ظلال القران، ج٦، ص٣٥٠٥، سورة المجادلة/ اية ٣.
(٥٠) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج٤، ص٣١٩.

نفسه عند الغضب، فهذا شأن الذي سمع ما دار فيه من حوار بين رسول الله ﷺ والمرأة التي جاءت تجادله فيه. وهذا هو السبب الذي انزل الله فيه حكمه، ليعطي هذه المرأة حقها. ويريح بالها وبال زوجها. ويرسم للمسلمين الطريق في مثل هذه المشكلة العائلية اليومية[٥١]، التي كانت شائعة قبل الاسلام واستمرت بعده لوضع الحدود في التعامل بين المرأة والرجل في المجتمع لأجل انجاح الزواج واستمراره.

مما تقدم يمكن القول ان الصيام ذكر في القران الكريم لا سباب عدة منها فرض من فروض الاسلام، واخرى تطوعاً وعبادة من المسلم المؤمن، وثالثة كفارة (عقوبة) عند قيام المسلم بخطأ ارتكبه سواء عن قصد او دون قصد لخروجه عن طاعة الله ذلك تعويضا او تكفيرا اي عقوبة لفعله مما يؤدي بالتالي إلى تنظيم الواقع الاجتماعي للمجتمع وللفراد وللنفس البشرية وهو تهذيب وتقويم للإنسان. وفسرنا ذلك من خلال الآيات القرآنية التي تم توضيحها بشيء من التفصيل.

(٥١) السيوطي، تفسير الجلالين، ص٧٢٠.

وكل أنواع الصيام الذي ذكر في القران الكريم سواء الفرائض أو الكفارات (العقوبات) أو التطوع نفذت بشكل علمي على ارض الواقع في عهد الرسول ﷺ...

فالصوم اذا لم يكن عقوبة لأجل العقوبات كالعقوبات المادية منها والجسدية بل هو أداة تربيه الإرادة وتقوية الاحتمال، وإيثار عبادة الله على الراحة، وجميعها عناصر لابد منها في التربية الإسلامية، لما يظهر لنا من إن للصوم مزايا صحية حتى ولو اشعر الصائم بالتعب، وهذا ما يخص الأصحاء منهم. فعقوبة الصيام هي تهذيب للنفس البشرية وإحساس المخطئ بذنبه لوحدة دون مشاركة الآخرين له كالعقوبات الأخرى لذا فرض الله تعالى ورسوله ﷺ هذه العقوبة على الإنسان لا صلاح نفسه بنفسه والشعور بخطئه والابتعاد عنه خدمتا لصالح الواقع الاجتماعي بشكل عام.

الخاتمة:

ان الواقع الاجتماعي لعقوبة الصوم يختلف حسب تطور الحضارات، ففي

المجتمعات القديمة عرف الصيام الأفراد المختارين لواجبات تتصل بالجماعة على سبيل المثال: أفراد مختارون لتلقي المناسك المعروفة لديهم كالصيادين والزراع وغيرهم.

وعند ظهور الأديان في العالم بشكل تدريجي، فرض رؤسائهم والكهان الصيام كشرط أساسي للعبادة كونها الطريقة التي تقربهم من الالهة.

والصيام موجود لدى الحضارات الفرعونية وبلاد ما بين النهرين ولدى الفرس والبراهمة والبوذية والديانة الصينية، وغيرهم.

أما في الديانات السماوية:

فقد شرع الصيام في الكتاب المقدس لليهود بأشكال مختلفة على سبيل المثال، الصيام (الفردي) (شخص) ويسمى صوم الأسرة، ويتم ذلك في حالة الحزن الفردي أي عند التكفير عن خطيئة، ويعد نوع من العقوبات الشخصية. أي صيام التكفير من الآثام اي عقوبة للنفس وإرضاء للرب وغيرها.

الصيام عند الديانات المسيحية: لم يرد في الأناجيل المعروفة نص في فريضة الصوم. ومن أشهر صيامهم وأقدمه الصوم الكبير الذي قبل عيد الفصح وهو الذي صامه موسى، وصامه عيسى من بعده عليهما السلام. كما صامه الحواريين.

اما في الاسلام فهو الاكثر عدالة وتنظيماً في جميع جوانبه، كونه منزل بأمر من الله عز وجل، و ركن من اركان الاسلام الخمسة وعبادة من العبادات المقررة في جميع الاديان القديمة. فرض على المسلم العاقل البالغ المقيم القادر عليه. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٣].

والصيام هو الامتناع عن الطعام والشراب وشهوات الجسد وسائر المفطرات التي تبدأ من طلوع الفجر الى غروب الشمس، ومدة رمضان شهر واحد، وهناك انواع اخرى من الصيام فرضها الله تعالى على المسلم المخطئ لمعاقبته واصلاحه من داخل نفسه، وبذلك يصبح الصوم كفارة لذنب قام به،

قال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[سورة المائدة: ٨٩].

او صيام في حالة الجماع للصائم في شهر رمضان والذي يؤدي الى بطلان صومه، ووجب علية القضاء و الكفارة (اي العقوبة) هي صيام شهرين متتالين عدى اليوم الذي افطر فيه وهي اطول عقوبة صوم فرضت على المسلم، وهناك عقوبة الظهار التي تطبق عليها نفس العقوبة ومن الآيات القرآنية التي حدد فيها الصيام كعقوبة نذكر منها قال تعالى: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[سورة النساء: ٩٢].

كما حدد سبحانه وتعالى عقوبة الثلاث ايام من اجل تهذيب النفس البشرية في اتخاذ القرارات والكلام الصحيح لزرع الثقة بين الناس فقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾[سورة المائدة: ٨٩].

وهناك العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تخص الصيام كعقوبة يمكن الرجوع الى البحث بشكل مفصل.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الترمذي، ابي عيسى ابن سورة، سنن الترمذي، موسوعة السنة (الكتب السنة وشروحها (١٣)، ط٢، الناشران دار سحنون و yayn، lanqagn، ١٤١٣هـ.

٢. ابن الاشعث، بي داود سليمان، سنن ابي داود، موسوعة الكتب الستة وشروحها، اشرف عليه ورقمة واعد منها رسه: د. بدر الدين جيتين ار، ط٢، مطبعة دار نورة/ دار سحنون، ج٢، ص٧٦٨، رقم الحديث ٣٣٦٣ (كتاب الصيام).

٣. البستاني، بطرس، دائرة المعارف (صوم الفصح).

٤. جريدة بيان الثقافة، الاحد ٢٨ شعبان، ٢٠٠٢ -العدد ١٤٧-مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر.

٥. الحاج قاسم، محمود، تاريخ الصوم

عبر الصوم -مقال في جريدة الحدباء، العدد ١٨٩/ ١، ٢٠٠٠.

٦. د. الخطيب، جمال، تعديل السلوك الانساني، مكتبة الفلاح -الادارة العربية، ط٣، ١٩٩٥.

٧. الخطيب، علي، يوحنا، الصيام من البداية حتى الاسلام، مطبعة البركات، بلا. ت.

٨. د. الدوري، عدنان، اصول علم الاجرام وعلم العقاب ومعاملة المذنبين، منشورات ذات السلاسل- الكويت، بلا. ت.

٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بي بكر (ت٩١١)، وجلال الدين بن محمد بن احمد الحلي، تفسير الجلالين، بيروت: مكتبة المثنى، وبيروت -دار احياء التراث العربي، بيروت دار العلوم الحديثة، بلا. ت.

١٠. صلال، عبد الرزاق رحيم، العبادات في الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، بلا. مطبعة، ١٩٧١.

١١. صموئيل الثاني، ١٢: ١٦، ٢٠.

١٢. الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسين (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، تصحيح وتحقيق وتعليق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، بيروت -دار احياء التراث العربي، ١٢٧٩ -ق/ ١٢٢٩ ش.

١٣. د. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، بيروت -دار لعلم للملايين، ط١، ١٩٧٠.

١٤. الغزالي: ابو حامد، اسرار الصوم، تحقيق: باهر المنجد، ط١، دمشق-دار الفكر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م.

١٥. د. غنيم، احمد، فلسفة الصيام في الديانات اليهودية والنصرانية وفي السلام. ط١، القاهرة -مطبعة حسان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

١٦. ابن فارس، ابي الحسين احمد بن زكريا (... ٣٩٥)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط (عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٣٩٠ هـ -١٩٧٠ م، مصدر شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ج٣) (حرف الصاد).

١٧. قاموس الكتاب المقدس (انا الف و

الياء) لمجموعة من علماء اللاهوت)، بيروت -دار المشرق، ١٩٨٩.
١٨. القرضاوي/ يوسف، فقه الصيام، ط٣.
١٩. القس شنودة، يوحنا، الصوم في كنيستنا القبطية الاثوذوكسية، مطبعة الإسكندرية، ١٩٦٣.
٢٠. قطب، سيد، في ظلال القران، طه، بيروت -دار الشروق، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٢١. ابن قيم الجوزي: شمس الدين ابن عبد الله، (ت٧٥١هـ) الروح (في الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والاثار واقوال العلماء)، حققه وعدل له وعلق حواشيه: محمد اسكندر يلدا، ط٢، بيروت -لبنان -دار الكتب العالمية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٢٢. ابن قيم الجوزية: شمس الدين ابن عبد الله، (ت٧٥١هـ)، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق عبد الفتاح ابو غدة، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٢٣. الكاملي، ناصر الدين، الصوم في القديم والحديث، د. ت. مطبعة الكون كورت، بلا. ت، ٢١.
٢٤. ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تفسير القران العظيم، بيروت -مكتبة النهضة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢٥. مسلم، ابي الحسين بن الحجاج بن مسلم القريشي النيسابوري (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم (مع شرحه المسمى إكمال اكمال المعالم) بيروت -لبنان دار الكتب العلمية، بلا. ت.
٢٦. ابن منظور، لسان العرب (المحيط)، معجم لغوي علمي، قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، اعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت ـ دار لسان العرب.